

Al-Sulaymaniyah Tekkia as a station for Shami Pilgrimage during Ottoman Era (1516 AD-1918 AD)

Eng. Amani Khalil Al-Rahhal

Faculty of Architecture | King Saud University | KSA

Received:
10/07/2024

Revised:
23/07/2024

Accepted:
04/08/2024

Published:
30/09/2024

* Corresponding author:
amany.r2017@gmail.com

Citation: Al-Rahhal, A. KH. (2024). Al-Sulaymaniyah Tekkia as a station for Shami Pilgrimage during Ottoman Era (1516 AD-1918 AD). *Journal of engineering sciences and information technology*, 8(3), 1 – 15.
<https://doi.org/10.26389/AJSRP.N100724>

2024 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• Open Access



This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) [license](https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)

Abstract: Damascus city developed clearly in the Ottoman period in the urban and architectural aspects, and the pilgrimage route had the largest role in the growth and expansion of the city towards the south. It's one of the paths that reflects our historical heritage. Many Arab and Foreign researchers focused on the city expansion in the Ottoman period in that period. Other research focused on the Shami pilgrimage route. But in fact, this research aims to show the urban development of Damascus in the Ottoman period and the correlation between this development and the pilgrimage route. The research also aims to show the most important Islamic buildings in that period, which have been linked to preparing for the pilgrimage, such as Sulaymaniyah Tekkia which will be studied here, because it had a significant role in serving the pilgrims who stayed in Damascus during the preparation period of the pilgrimage, where the pilgrim used to spend several months before going to the Holy Land to perform the fifth pillar of Islam depending on various historical references, studies and analysis to take a complete subject includes the impact of hajj in the urban and architectural development in Damascus City and the appearance of the most important Islamic buildings which is designed to achieve the comfort of pilgrims, in addition to documented the pilgrimage route which the caravans of Hajj walked in Damascus to go to the land of Hejaz, with pictures and necessary maps. To reach finally to recommendations that aimed to reviving this route, registration it on the world heritage list, and the need to link the path of pilgrimage route with the Islamic buildings which were served the pilgrims who walked on it.

Keywords: Al-Sulaymaniyah Tekkia, Damascus, Hajj in the Ottoman period, Historical and Urban development, Islamic buildings in the Ottoman period, the Sham Pilgrimage route.

التكية السليمانية محطة للحج الشامي في العصر العثماني (1516م - 1918م)

م. أمانى خليل الرحال

كلية الهندسة المعمارية | جامعة الملك سعود | الرياض | المملكة العربية السعودية

المستخلص: تطورت مدينة دمشق بشكل واضح وكبير في الفترة العثمانية من الناحية العمرانية والمعمارية، وكان لطريق الحج الدور الأكبر في نمو المدينة وتوسعها نحو الجنوب، فهو أحد المسارات التي تعبر عن تراثنا التاريخي الإسلامي. قامت العديد من الأبحاث العربية وغير العربية التي تدرس توسع المدينة في العصر العثماني وقامت أبحاث أخرى عنيت بطريق الحج الشامي، ولكن في الحقيقة البحث هنا يهدف إلى إظهار تطور مدينة دمشق العمراني في العصر العثماني وارتباط هذا التطور بطريق الحج، وإظهار أهم المباني الإسلامية؛ التي ارتبطت بالاستعداد للحج في دمشق في تلك الفترة، كالتكية السليمانية التي سيتم دراستها؛ إذ كان لها دوراً بارزاً في خدمة الحجاج الذين يمكثون بدمشق في فترة الاستعداد للحج؛ حيث كان الحاج يمضي فيها عدة أشهر قبل الانطلاق للديار المقدسة؛ لأداء الركن الخامس من الإسلام. وتعتمد الدراسة على المراجع التاريخية المختلفة والدراسات والتحليلات؛ للحصول على مادة متكاملة تجمع بين أثر الحج في التطور العمراني والمعماري في دمشق، وظهور أهم العمائر الإسلامية بدمشق كالتكية السليمانية التي صُممت بما يحقق راحة الحجاج، بالإضافة إلى توثيق مسار الحج الذي كانت تسلكه قافلة الحج في مدينة دمشق للانطلاق للأراضي الحجاز، بالصور والمخططات اللازمة، وصولاً لتوصيات تهدف إلى إعادة إحياء هذا الطريق وتسجيله على لائحة التراث العالمي، وضرورة الربط بين مسارات الحج والمباني الإسلامية التي كانت تخدم الحجاج الذين يسلكون هذا الطريق. الكلمات المفتاحية: التطور التاريخي والعمراني، التكية السليمانية، الحج في الفترة العثمانية، دمشق، طريق الحج الشامي، العمائر الإسلامية في الفترة العثمانية.

المقدمة:

كانت مدينة دمشق مركز تجمع الحجاج في العثماني إذ كانت مركز استقبال لحجاج شرقي قارة آسيا، مثلما كانت مدينة مصر مركز لتجمع لحجاج قارة إفريقيا، ولقد اكتسبت الأولى لونها من القدسية والشرف حتى أنها دُعيت: (الشام شريف)، وذلك نظراً لأهمية موقعها بالنسبة لطريق الحج في الفترة العثمانية، وكان لهذا الطريق نفس أهمية طريق الحج المصري، وذلك لكون مدينتي دمشق والقاهرة من مدن الخلافة الرئيسية في الفترة العثمانية: (الحلاق 1959م، ص 22).

حظيت مدينة دمشق وطريق الحج فيها بأهمية خاصة؛ فقد تطورت البنية العمرانية والمعمارية فيها، وكذلك نشأت العديد من العمائر الإسلامية من: (تكايا، وخانات، ...) التي كان من شأنها خدمة الحجاج وتوفير سبل الراحة لهم، وتطور طريق الحج فنشأت القلاع والحصون والمحطات على طول الطريق من مدينة دمشق وحتى المشاعر المقدسة في أراضي الحجاز.

بدأ هذا الطريق يغيب عن الذاكرة وطال الكثير من مبانيه التاريخية الأثرية الإهمال، على الرغم مما يشكله هذا الطريق من رصيد ثقافي وأثري مهم. لذلك فإن البحث يهدف لإعادة هذا المحور إلى الذاكرة من خلال التأكيد على أثره العمراني والمعماري بالنسبة لمدينة دمشق وذلك من خلال اتباع المنهج التاريخي التحليلي.

المواد وطرق العمل:

مشكلة البحث: عدم وضوح أهمية مسار الحج الإسلامي في مدينة دمشق ودوره في تطور البنية العمرانية والمعمارية في مدينة دمشق.

أهداف البحث: يهدف البحث من خلال الدراسة التاريخية والمقارنة والتحليل إلى:

1. تسليط الضوء على طريق الحج الشامي في العصور المختلفة (منذ عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وحتى العصر العثماني) وإبراز أهم التغيرات التي طرأت على هذا الطريق.
2. التأكيد على البعد الفلسفي والتاريخي لأثر طريق الحج على تطور مدينة دمشق العمراني والمعماري.
3. إبراز دور طريق الحج الشامي في التطور العمراني والمعماري في مدينة دمشق.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث من كونه يقدم دراسة شاملة لمسار الحج في العصور التاريخية المختلفة، بالإضافة لتطور مدينة دمشق وربط هذا بمسار الحج الإسلامي في الفترة العثمانية، ويستعرض أهم العمائر الإسلامية التي ارتبط ظهورها بالاستعداد للحج. وذلك من خلال:

1. تسليط الضوء على طريق الحج في مدينة دمشق، وتأثير هذا الطريق على مورفولوجيا المدينة، وما أفرز من أنماط عمرانية ومعمارية في مدينة دمشق.
2. الأهمية العلمية والتطبيقية: عبر التوصل إلى تحليل تاريخي يوضح أسس تصميم أهم المباني الإسلامية المرتبطة بطريق الحج وطرزها السائدة في الفترة المحددة في البحث.

تساؤلات البحث:

- 1- هل بقي مسار الحج الشامي كما هو في العصور التاريخية المختلفة وحتى العثماني؟
- 2- ما أهمية محور الحج في التطور العمراني والمعماري لمدينة دمشق؟
- 3- هل تغير طريق الحج الشامي أم بقي ثابتاً كما هو منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهل الشيء المتغير هو فقط إضافات عمرانية كالتكية السلمانية وغيرها من العمائر الخدمية للحجاج.

حدود البحث:

- المجال العلمي: البحث التاريخي والتحليلي للتطور العمراني لمدينة دمشق.
- المجال الزمني: الفترة التي يركز عليها هذا البحث هي الفترة العثمانية، والتي استمرت أربعة قرون كاملة من 1516م-1918م.
- المجال المكاني: طريق الحج الشامي مدينة دمشق.
- المجال التطبيقي: المباني الإسلامية في مدينة دمشق: (التكية السلمانية).

فرضيات البحث:

- تأثير طريق الحج الشامي على تطور البنية العمرانية والمعمارية في مدينة دمشق.

مكونات البحث:

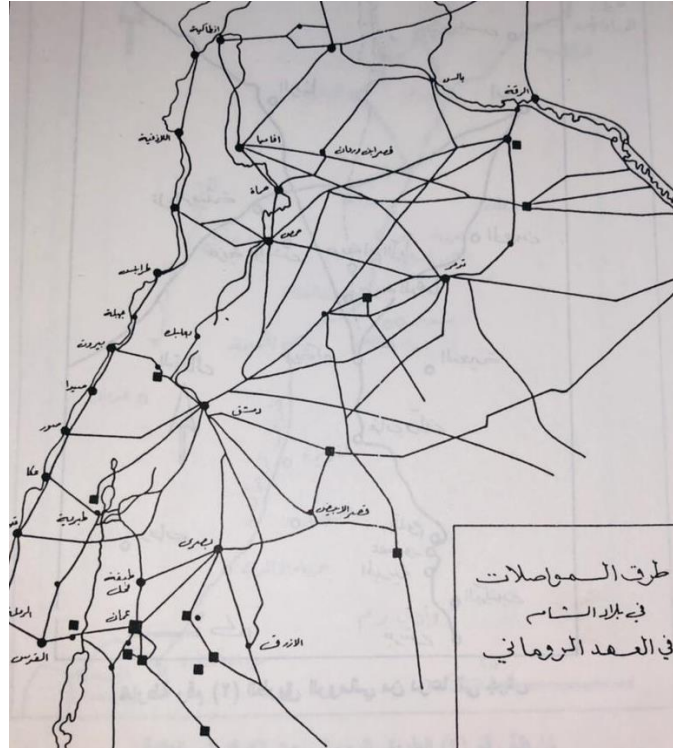
أولاً: طريق الحج الشامي في العصور المختلفة (منذ عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وحتى العثماني.

ثانياً: مدينة دمشق في عهد العثمانيين .

ثالثاً: أهم العمائر الإسلامية التي أنشئت في العصر العثماني في مدينة دمشق.

أولاً: طريق الحج الشامي في العصور المختلفة (الإطار التاريخي والجغرافي):

كانت الحجاز تشكل الامتداد الجغرافي لبلاد الشام وتعود الصلات فيما بينهما لأقدم العصور، ولقد شهدت دمشق ازدهاراً ملحوظاً في مجال طرق المواصلات خلال الفترة الرومانية، ويظهر الشكل (1) طرق المواصلات في بلاد الشام في العصر الروماني منذ القرن الأول الميلادي وحتى القرن السابع الميلادي. ومنذ تأسيس المقاطعة الرومانية في جزيرة العرب الذي يرجع إلى عام 106م، شيدت الإدارة الرومانية شبكة من الطرق متجهة إلى الجنوب مركزها بصرى -المدينة الرئيسة في حوران- مراراً بعمان وبترا، وصولاً إلى خليج العقبة، وقد عرف هذا الطريق باسم طريق تراجان الجديد، وكانت بصرى محطة حج. وسُي أيضاً هذا الطريق بطريق الحجاج. (دراركة، صالح. 1997م، ص 59).



الشكل 1: طرق المواصلات في بلاد الشام في العصر الروماني.

المصدر: دراركة، صالح. 1997م، ص 67.

سجل لنا التاريخ خروج أول قافلة للحج في الإسلام، من المدينة المنورة في ذي القعدة سنة 9هـ/631م، وكانت تحت إمرة الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وبعد انتقال عاصمة الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة إلى دمشق، بعد تولي الأسرة الأموية الخلافة سنة 41هـ/661م، أصبح اسم الطريق الذي يسلكه الحجاج من دمشق إلى الديار الحجازية المقدسة، طريق الحج الشامي. وتعود الأصول التاريخية لهذا الطريق إلى ما قبل الإسلام، ويظهر الشكل (2) طرق الحج من الاتجاهات المختلفة. (دراركة، صالح. 1997م، ص 240).



الشكل 2: طرق الحج من الاتجاهات المختلفة.

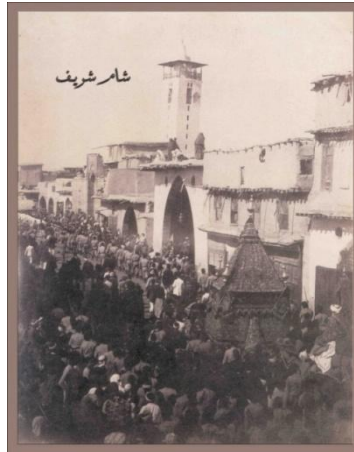
المصدر: (درازكه، صالح، 1997م، ص 243).

نال طريق الحج الشامي اهتماماً خاصاً من قبل الحكام المسلمين عبر جميع العصور التاريخية، ولقد اختلفت درجة هذا الاهتمام من عصر إلى آخر، ومن حاكم إلى آخر، وشهدت منازل ومساراته تبعاً للأحداث التاريخية، والظروف السياسية والاقتصادية والبيئية المتغيرة التي عرفتها المناطق التي يسير فيها داخل الجزيرة العربية وخارجها. (الكلابي، حياة، 2009، ص 66).

وهذا فإن طريق الحج الذي سلكه الحجاج منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من دمشق باتجاه مكة المكرمة، هو ذاته طريق الحج الشامي وإن كانت قد اختلفت منازل بين مدينتي دمشق ومكة المكرمة، ولن يتسنى لنا ذكر الإطار الجغرافي مفصلاً في هذا البحث.

ثانياً: دمشق في عهد العثمانيين:

توافرت لمدينة دمشق في العصر العثماني، أسباب موضوعية كي تنمو وتزدهر، فكانت مركز استقبال حجاج شرقي قارة آسيا مثلما كانت مصر مركز تجمع حجاج قارة إفريقيا، وقد اكتسبت الأولى لونهاً من القدسية والشرف حتى دعيت: (الشام شريف)، وذلك نظراً لأهمية موقعها بالنسبة لطريق الحج في الفترة العثمانية، وكان لهذا الطريق نفس أهمية طريق الحج المصري. يبين الشكل رقم: (3) محمل الحج في مدينة دمشق. (سوفاجيه، 1989، ص 100)



المصدر: (صواش، 2005).

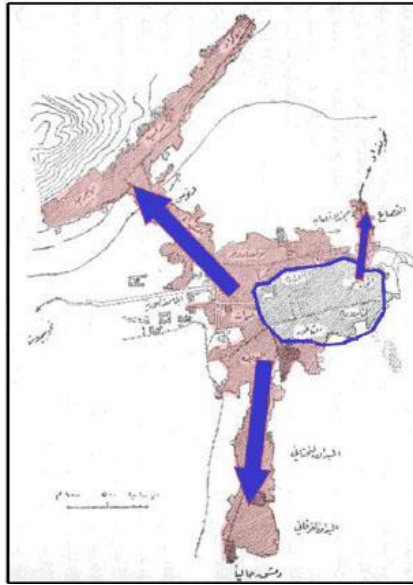
الشكل رقم: (3): محمل الحج، ص 28..

ذلك كان من شأنه أن يؤدي إلى تطور مدينة دمشق في العصر العثماني الذي دام أربعة قرون كاملة من نهاية القرن السادس عشر حتى بداية القرن العشرين 1516هـ-1918م ، حيث تطورت العمارة والفن السوري وفقاً لذوق دولة الخلافة العثمانية، وأعيد بناء مدينة دمشق حيث أصبحت عاصمة لمنطقة إدارية مهمة ومركزاً رئيساً تلقت فيه طرق القوافل التجارية. حتى أن مدينة دمشق في تلك الفترة سميت بإعجاب: (شام-جنات ماشام) أي: (دمشق مليء بعبيق الجنة). (سوفاجيه، 1989، ص 111)

أ- تطور دمشق خارج السور:

كيف تطورت دمشق خارج أسوارها؟ وما سبب ذلك؟

بدأت مدينة دمشق تتطور خارج أسوارها منذ منتصف القرن السادس عشر الميلادي في المنطقة قرب قلعة دمشق وباب السلام وفي منطقة الصالحية: (على سفح جبل قاسيون). وقد شكل هذا التطور أول امتداد عمراني لمدينة دمشق خارج أسوارها، وكان التوسع الأول باتجاه شمال-جنوب حيث كانت كل هذه التوسعات تتجنب الامتداد نحو الأراضي الزراعية: (الغوطة) وحتى ما قبل انتهاء الاحتلال الفرنسي، وكان لطريق الحج دور رئيس في توسع هذه الأحياء نحو الجنوب بشكل أكبر. ولقد كانت هذه التوسعات تتجنب الامتداد نحو الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية باتجاه الغوطة واتخذت اتجاه: (الشمال-الجنوب) وبين الشكل رقم: (4) التوسع الخطي الأول لمدينة دمشق خارج أسوارها باتجاه الشمال والجنوب. (سوفاجيه، 1989، ص 99-100).



الشكل رقم (4): التوسع الخطي الأول لمدينة دمشق خارج أسوارها باتجاه شمال - جنوب.

المصدر: (الباحثة بالاعتماد على ريمون ، 1986 ، ص 12) .

إن من الأحياء الأثرية القديمة التي نمت خارج الأسوار في مدينة دمشق، والتي أصبحت أحياء تاريخية هي حي العمارة، وحي العقيبية شمال السور، وسوق ساروجة، والسويقة. وفي المنطقة الجنوبية حي الميدان الذي تشكل على ضفتي طريق الحج، (سوفاجيه، 1989م، ص 74). ولكل من هذه الأحياء خصائص عمرانية ومعمارية واجتماعية واقتصادية، حيث أنها تمثل مخزوناً ثقافياً وحضارياً مهماً من خلال تراكم الثروة الإنسانية في كل منها عبر العصور التاريخية المختلفة.

ب- أهم أسباب تطور مدينة دمشق خارج أسوارها:

1- حاجة المدينة للنمو والتوسع كأى كائن حي ينمو ويكبر.

2- وجود محور الحج في مدينة دمشق.

3- وجود محور الصالحية في مدينة دمشق.

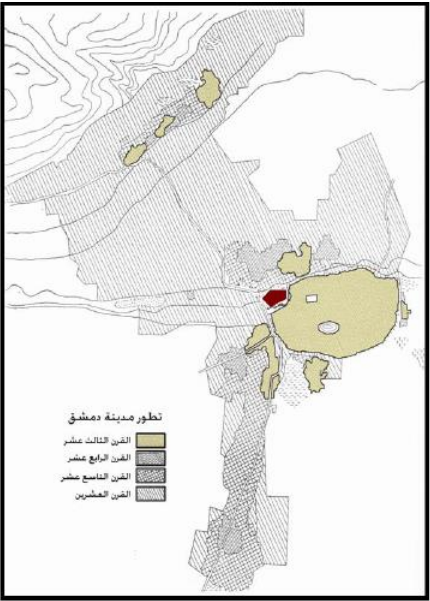
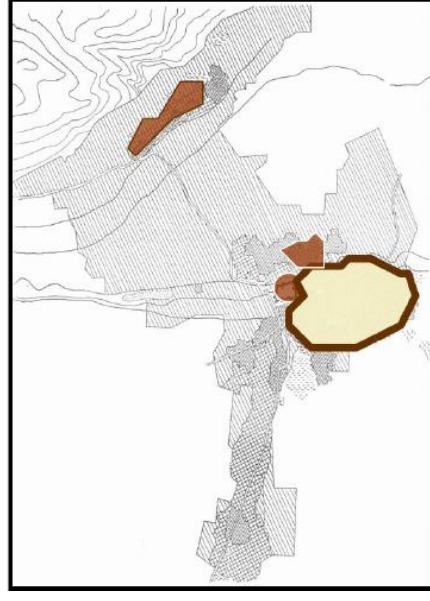
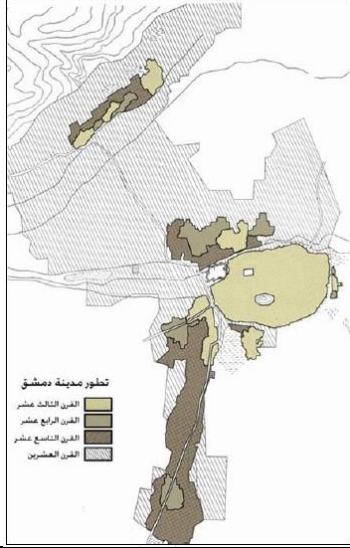
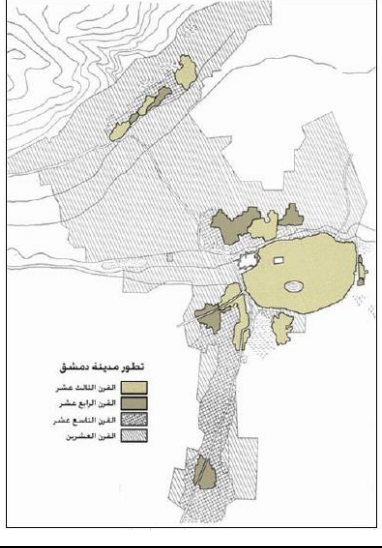
4- وجود العديد من الأسواق على طول محور الحج الشامي والتي تخدم مدينة دمشق.

5- المباني الأثرية التاريخية المهمة والموجودة على محور الحج الشامي في مدينة دمشق.

وقد أكد (سوفاجيه، 1989م، ص 74) أن التوسعات كانت تبتعد عن المناطق الخضراء والزراعية لذلك توجهت نحو محورين وحيدتين فقط: (شمال-جنوب)، وتوضح الأشكال(5-6-7-8) تطور مدينة دمشق خارج أسوارها عبر العهود والفترات الزمنية التي مرت عليها.

ومن خلال دراسة هذه المخططات للتطور التاريخي والعمراني لمدينة دمشق نلاحظ بأن الظهور الواضح والمكتمل لمحور الحج

فيها قد امتد من القرن الثاني عشر الميلادي وحتى القرن العشرين الميلادي.

	
<p>الشكل رقم (6): دمشق في العصر الأيوبي. المصدر: أطلس مدينة دمشق، 2009 م.</p>	<p>الشكل رقم (5): أول تطور لدمشق خارج السور. المصدر: أطلس مدينة دمشق، 2009 م.</p>
	
<p>الشكل رقم (8): دمشق في العصر العثماني. المصدر: أطلس مدينة دمشق، 2009 م.</p>	<p>الشكل رقم (7): دمشق في العصر المملوكي. المصدر: أطلس مدينة دمشق، 2009 م.</p>

ثانياً: طريق الحج الشامي في دمشق:

1. أهمية مدينة دمشق بالنسبة لمحور الحج:
كانت مدينة دمشق في أثناء فترة حكم العثمانيين تنعم بأهمية خاصة جداً بوصفها: (باباً للكعبة)، ولقد كانت الطريق المؤدية من الشام إلى المدينة المنورة فمكة المكرمة هي الطريق الأقصر مسافة والأكثر سلوكاً من سائر البلاد المؤدية إلى الحجاز من جميع الأقطار الإسلامية الشاسعة: (إيبش، 2002، ص 197).
2. قافلة الحج:
في الأسبوع الأخير من شعبان يبدأ توارد الحجاج البعيدين إلى مدينة دمشق، حيث تمتلئ المدينة شيئاً فشيئاً بالحجاج طوال شهر رمضان، وفي منتصف هذا الشهر، - أو الأسبوع الثالث منه - يصل ركب (الصرة أميني) وهو يبدأ عادة رحلة من القسطنطينية في أحد أيام الأسبوع الأخير من رجب (الحلاق، ، 1959، ص 67).
إذا ما انتصف شوال تكون الترتيبات النهائية لإعداد قافلة الحج وركب المحمل (والمحمل في اللغة هو شقّتان على البعير، يُحمل فيهما العديلان، وأما المحمل في قافلة الحج لا يحمل فيه إلا نسختان من القرآن الكريم ولا يعدو عن كونه رمزاً يمثل السلطة التي

يعود إليها ركب الحج المصاحب للمحمل) _ قد تمت، فيخرج أمير الحج من سراي الحكم (الشكل رقم9) بقرب القلعة على رأس المحمل بين 15 و17 شوال، ويتخذ طريق الميدان مجازاً، ثم الميدان الفوقاني إلى باب الله في طريق تمتد نحو ثلاثة كيلو مترات متجهاً إلى قرية المزيريب، وبعد خروج موكب الحج ببضعة أيام، من يومين إلى خمسة تخرج قافلة الحج الشامي من نفس الطريق، وتلوها الحج الحلبي ومعهم حجاج العجم، ويتجه الجميع إلى قرية المزيريب نقطة التجمع النهائي، ويقضون بها بضعة أيام (من 4 إلى 7 أيام) ريثما يعدون أنفسهم للرحلة الشاقة إلى بلد الله الحرام(الحلّاق، . 1959، ص 67-68) ويظهر الشكل رقم (10) المحمل الشريف بانتظار التحرك لأرض الحجاز.



الشكل رقم 10: المحمل الشريف بانتظار التحرك لأرض الحجاز.

الشكل رقم 9: محمل الحج أمام سراي المشيرية.

المصدر: أرشيف مديرية مدينة دمشق القديمة.

المصدر: ايبش، 2002، ص 177

وينفض الجمع من المزيريب، ويعود (المزيريباتية) إلى دمشق في أواخر شهر شوال. والمزيريباتية هم الذين خرجوا لتوديع الحجاج

حتى المزيريب أو التجار الذين عقدوا بها أسواق البيع والشراء. (الحلّاق، 1959، ص68) (الشكل رقم 11).



الشكل رقم 11: استراحة الحجاج في المزيريب.

المصدر: (الحلّاق، 1959، ص 65)

يمضي الركب في طريقه إلى الحجاز، وهم يتقدمون إلى مكة المكرمة في طريق مألوف عرف بالدرب السلطاني، وهو أقرب

مايكون إلى البحر غرباً وهم يؤثرونه على طريق آخر إلى الشرق منه. (الحلّاق، ، 1959، ص 69).

موكب خروج المحمل والصنجد إلى الحجاز(مسار الحج في دمشق من السراي وحتى العسالي):

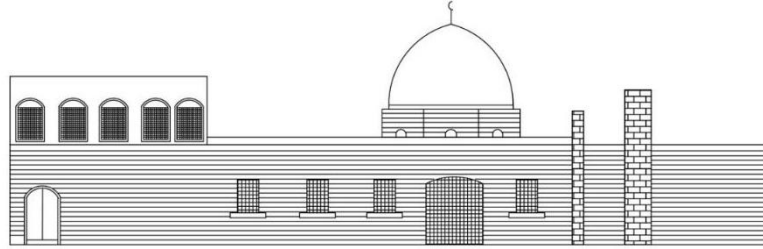
يخرج موكب الحج مع المحمل والصنجد بطرازهما الموشى البديع المزركش بالقصب المذهب في اليوم الخامس والسادس عشر من شهر شوال، باحتفال مهيب، والصنجد هو علم النبي عليه الصلاة والسلام كانوا يحتفظون به في دمشق ويرفعونه أمام قافلة الحج، وينشرونه إذا دعي الجهاد. انتقل الصنجد إلى الأمويين ثم إلى العباسيين، ومن ثم إلى الفاطميين بالقاهرة. أعيد إلى دمشق على يد السلطان سليم الأول، بعد القضاء على دولة المماليك، ومن ثم أصبح الاحتفال في يوم الصنجد بالسنجد السلطاني تقليداً. والصنجد في الاصل لفظة تركية تعني العلم أو الراية. يخرج موكب الحج من باب المشيرية: (السراي) الواقع في مبتدأ سوق الدرويشية، الممتد من تجاه باب القلعة إلى تجاه باب الجابية، إلى باب مصر المعروف ب " بوابة الله " كونه يؤدي إلى مكة المكرمة. (كيتال، 2006، ص 110-111) ويمر ركب الحج بسوق الدرويشية والأسواق المتصلة به، وهي: سوق سنان باشا: (السنانية)، وسوق النحاتين، وسوق الغنم، وسوق محلة السويقة، وسوق باب المصلى، وسوق الميدان التحتاني والوسطاني والفوقاني إلى باب الله تكون جميعها مزدحمة بالأهالي: (كيتال، 2006، ص111-113) ويظهر الشكل رقم(12) قافلة الحج وهي تمر بالميدان، لدى وصول الموكب إلى مصطبة سعد الدين الجباوي حيث ضريح الشيخ الجباوي: (الشكل رقم13)، مؤسس الطريقة السعدية... (كيتال، 2006، ص114).



الشكل رقم: (13): الزاوية السعودية.
المصدر: بعدسة الباحثة، 2010.

الشكل رقم: (12): قافلة الحج في الميدان
المصدر: (صواش، 2005، ص 27)

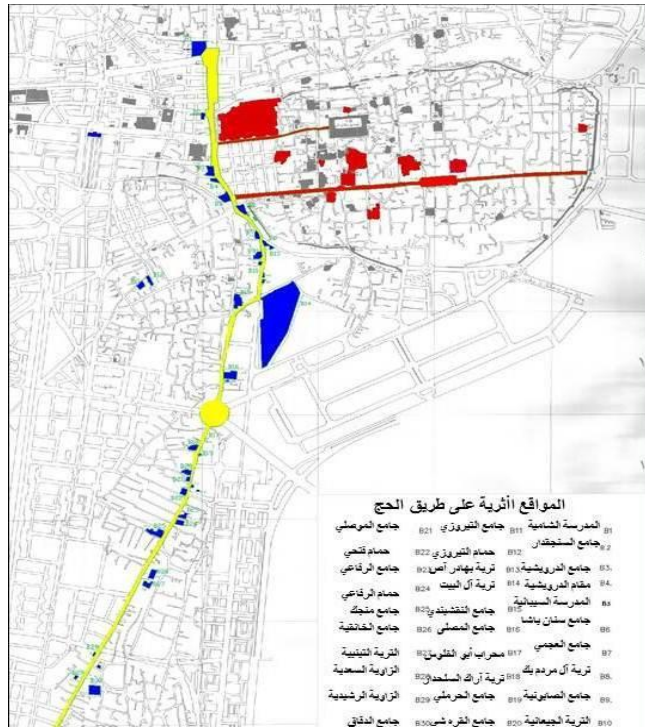
ويتم تسليم المحمل إلى أمير الركب في قبة الحاج، وقد أنشأ فيها الوزير أحمد باشا مسجداً مكان قبة يلغا، حيث جعل فيها تكيّة هي تكيّة العسالي الشكل رقم (14)؛ ولها محراباً يصلي فيها الحجاج عند ذهابهم إلى بيت الله الحرام في أرض الحجاز، وعند غيابهم إلى دمشق من أرض الحجاز.. وكان الحجاج يمشون في العسالي يوماً أو بعض يوم، ثم يسرون جماعات إلى مزيريب وهو مركز التجمع النهائي لقافلة الحج الشامى. (كيتال، 2006، ص 117-118).



الشكل رقم: (14): الواجهة الغربية الرئيسية لتكيّة العسالي.

المصدر: الباحثة الاعتماد على الرفع المعماري لمديرية آثار مدينة دمشق.

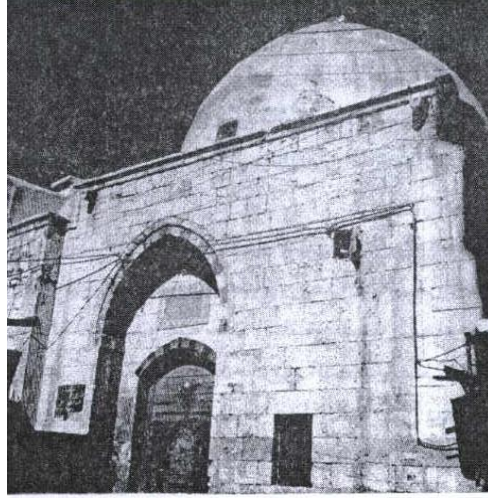
يظهر الشكل رقم (15) طريق الحج الذي سلكته القافلة في طريقها لأراضي الحجاز وقد عينت عليه المباني التاريخية والأثرية التي تقع على هذا الطريق.



الشكل رقم: (15): طريق الحج في دمشق وأهم المعالم التاريخية الأثرية الموجودة على طول هذا الطريق.
المصدر: الباحثة الاعتماد على الرفع المعماري لمديرية آثار مدينة دمشق.

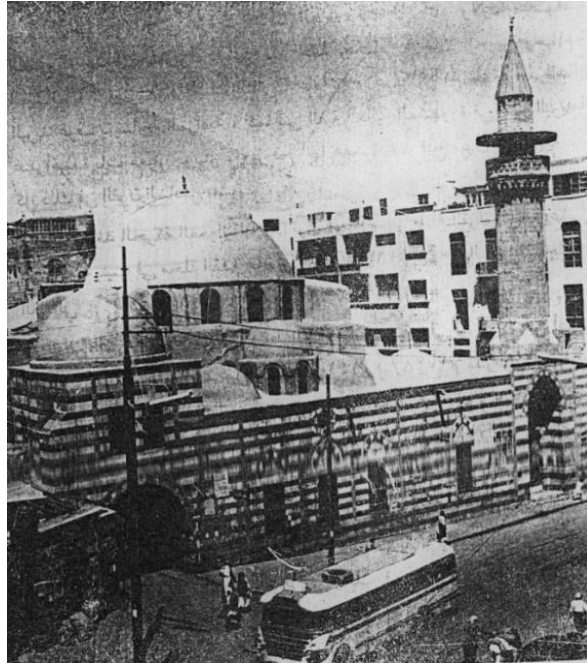
ثالثاً: أهم العمائر الإسلامية التي أنشئت في العصر العثماني:

لقد شيدت أربع مجموعات معمارية شهيرة خارج الأسوار في العصر العثماني. أولها في الصالحية: (محل الشيخ محي الدين) ولقد أنشأها السلطان سليم بعد فتح مدينة دمشق مباشرة، وتتألف من تكية مستقلة لطبخ الطعام وتوزيعه على الفقراء، ومن جامع وتربة على ضريح الشيخ محي الدين. ويظهر الشكل رقم(16) الواجهة الرئيسية للتكية السليمية. (الريحاوي، 1990م، ص 496).



الشكل رقم: (16): التكية السليمية – الواجهة الرئيسية
المصدر: (الريحاوي، ، 2005، ص 63)

والمجموعة الثانية، هي التكية السليمانية والمدرسة المجاورة لها واللتان أنشأهما ابنه سليمان القانوني في الميدان الأخضر على ضفاف نهر بردى في مكان قصر الظاهر بيبرس السابق الذكر: (القصر الأبلق)، وندر بأنها تضم مدرسة وجامعاً ومطعماً ومهجعاً وغرفاً للنزلاء وسوقاً. وبعد سنتين قلائل أي في سنة 1574م، شيد الوالي درويش باشا مجموعته المعمارية المعروفة بالدرويشية التي تظهر في الشكل رقم(17)، والتي تتألف من جامع ومكتب ومدفن وسبيل. (الريحاوي، 1996م، ص 83).



الشكل رقم(17): مجموعة درويش باشا المعمارية.
المصدر: (الريحاوي، 1996، ص 85).

ومن ثم عمر الوالي سنان باشا سنة 1586م مجموعة مشابهة بالقرب من باب الجابية: (السنانية). بالإضافة إلى هذه العمارات الأربع الكبرى نجد مسجداً بناه سنان آغا عام 1562 م، خارج باب الفرج، وتكية بناها مراد باشا عام 1568 م، والتي تعرف اليوم بجامع النقشبندي، وهي تقع في السوق على طريق الميدان، وبنيت كذلك تكية للدراويش: (المولوية) غربي جامع تنكز في عام 1585م. وفي القرن

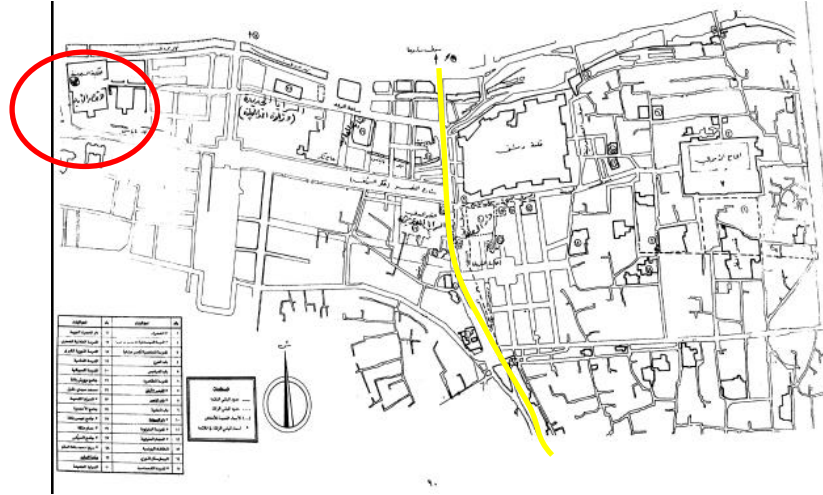
السابع عشر بنيت تكية في محلة القدم عام 1635 م وهي المعروفة بجامع العسالي. والتي كانت الغاية من إنشائها أيضا خدمة الحجيج: (الريحاوي، 1996م، ص 82-83).

وهكذا نجد أن أهم العمائر الإسلامية التي أنشئت في العصر العثماني باستثناء التكية السليمانية قد ارتبطت بالاستعداد للحجارتباطاً وثيقاً، فهي أما تقع على طريق الحج في مدينة دمشق أو أنها أنشئت لخدمة الحجاج الذين يمكثون في مدينة دمشق ريثما يتم النوجه لأراضي الحجاز، وسيتم دراسة التكية السليمانية كتمثال على هذه العمائر الإسلامية التاريخية الخدمية.

أ- أهم العمائر الإسلامية التي ارتبط ظهورها بالاستعداد للحج في مدينة دمشق:

مجمع التكية السليمانية:

مجموعة عمرانية فخمة تتميز بقبابها الكثيرة المنتظمة، تقع في قلب مدينة دمشق وعلى ضفاف نهر بردى وغربي المدينة القديمة. وبين الشكل رقم(18) موقع التكية السليمانية في مدينة دمشق.

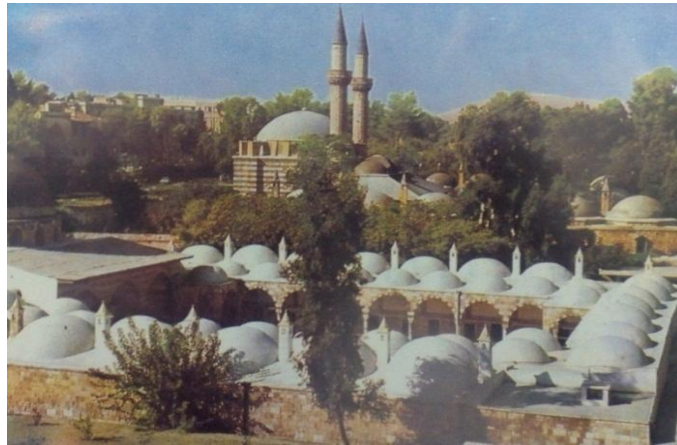


الشكل رقم(18): موقع التكية السليمانية ومدرستها على مخطط لمدينة دمشق.

المصدر: (الريحاوي، 2005م، ص 66).

تتألف من كتلتين معماريتين متشابهتين في التخطيط هما التكية والمدرسة، ويصل بينهما سوق مخصص لقوافل الحجاج والتي كانت تنزل في الأراضي المجاورة لها كما تشير التصوص التاريخية لذلك. كان المهندس الرئيس للتكية السليمانية ملا آغا الإيراني الأصل وكان يناوبه من حين لآخر مراقبو بناء من الأتراك: (ولتسينجروواتسينجر، 1984م ص 215).

وتعد التكية والمدرسة السليمانية(الشكل رقم19) اللتان أمر ببنائهما في مدينة دمشق السلطان سليمان في سنة 1554 و1566 م من العمائر ذات الطابع العثماني البحت، وهما صورتان مصغرتان عن العمائر الفخمة التي صممها المهندس العثماني الكبير سنان باشا في مدينة إسطنبول في تركيا. (ريمون، 1986م، ص 111-112).



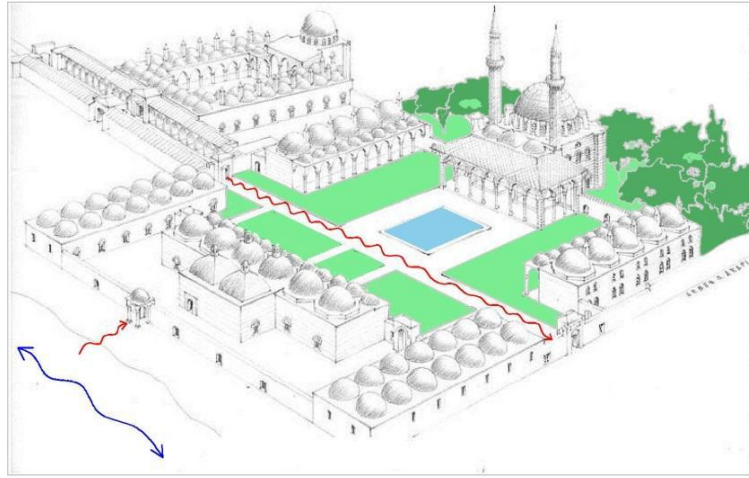
الشكل رقم: (19): التكية السليمانية ومدرستها.

المصدر: الريحاوي، 2005م، ص 204.

وظيفة التكية ومدرستها:

يقول عبد القادر الريحاوي في كتابه روائع التراث: "والغاية من التكية تشبه الغاية من الخانقاه الذي انتشر في أيام الأيوبيين والمماليك". (الريحاوي، 2005، ص 69)، ولكن بعد الرجوع إلى المراجع التاريخية تبين أنه أريد من هذه التكية أن تكون محطة لحجاج مكة من الأتراك ومكاناً لإقامة طلبة العلوم الدينية، وبناءً على ذلك لم يكن الجامع يكفي وحده لتحقيق تلك الغاية ولهذا ضمت المدرسة وغرف النزلاء والمهجع إضافة إلى السوق لخدمة هؤلاء الحجيج: (ولتسينجر وواتسنجر، 1984م، ص 215-217) وكان عدد كبير من الحجاج يتزلون بالتكية السليمانية... (كيتال، 2006م، ص 65).

لقد اختيرت أرض المرج المنبسطة مكاناً لإقامة التكية كيما يصبح بالإمكان تصميم مثل ذلك المخطط الواسع والمتناظر، وهذا ما دعا للاستغناء عن فكرة إقامة التكية في مكان مرتفع ومهيمن، وحددت الرغبة في تأمين الإقامة الطبية والاستراحة اللطيفة للحجاج والطلبة إلى العناية الزائدة مهندسة الحدائق في هذه التكية، الشكل رقم: (20). (ولتسينجر وواتسنجر، 1984م، ص 215).



الشكل رقم: (20): منظور لمجمع التكية السليمانية وقد عينت عليه المساحات الخضراء ومحاور الحركة الرئيسية بالنسبة

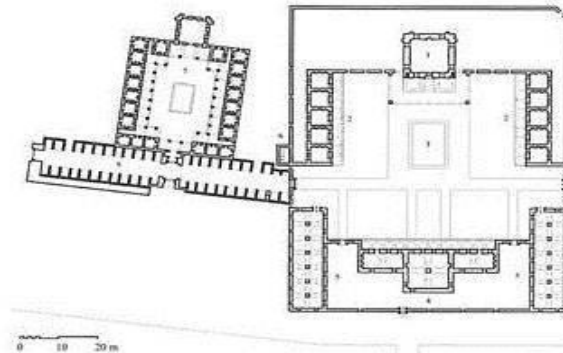
للبيوالبات. المصدر: الباحثة الاعتماد على الرفع المعماري لمديرية آثار مدينة دمشق..

ولقد قامت البوابتان الرئيستان في المحور الشرقي - الغربي كيما تتفق مع اتجاه طريق الحجيج ومع سير وادي بردى حيث يقع المدخل الرئيس للتكية من الباب الشمالي المطل على نهر بردى وأمامه جسر يمتد حتى شارع بيروت. (ولتسينجر وواتسنجر، 1984م، ص 215-217).

التكية السليمانية:

تصميم المبنى

يوضح الشكل رقم (21) مسقط التكية السليمانية ومدرستها. حيث تشغل التكية السليمانية مساحة وقدرها 127*86م. وهي مسورة بجدران متينة، ولقد زود سور التكية بثلاثة أبواب رئيسة أحدها في الشمال وتتقدمه قبة صغيرة. (الريحاوي، 1990، ص 496-497).



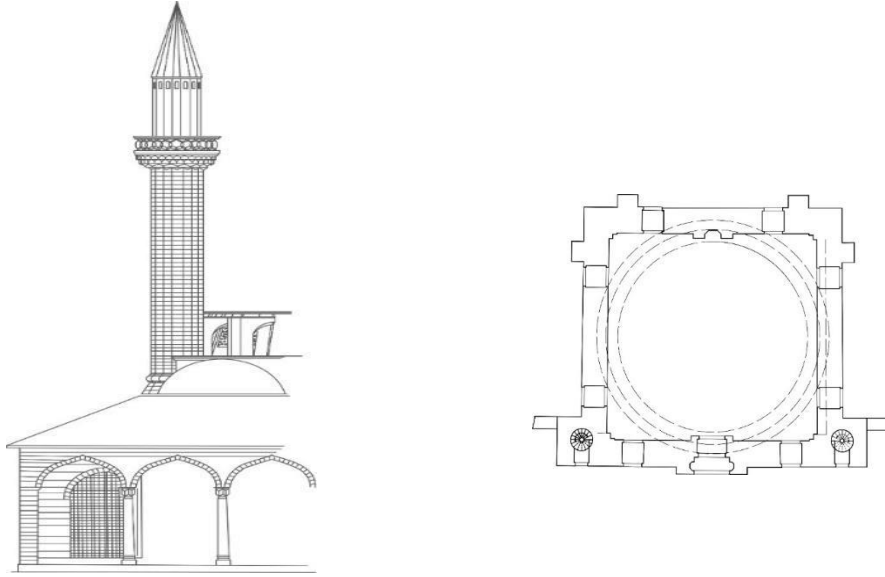
الشكل رقم: (21): مخطط التكية والمدرسة السليمانيتين.

المصدر: (Necipoglu, 2005, ص 223).

تقسم التكية السليمانية بواسطة المحور الممتد ما بين البابين الشرقي والغربي إلى قسمين، جنوبي وشمال، ونجد في القسم الجنوبي من هذه التكية صحن سماوي كبير وتتوسطه بركة مستطيلة الشكل، وقاعة للصلاة تحتل الجانب القبلي، ولقد جعلت بارزة قليلاً، وهي مسقوفة وتحتل الجانب القبلي، وقد جعلت بارزة قليلاً، وهي مسقوفة بقبة وحيدة ومزودة بمئذنتين أقيمتا في ركني الجدار الشمالي وهما متساويتين في الارتفاع والشكل. ويتقدم هذه القاعة رواق مزدوج يقوم مقام المصلى الصيفي. ونجد في طرفي الصحن من الشرق والغرب مجموعتين من الغرف المربعة مسقوفة بالقباب التي تتركز على أعمدة داخلية كانت تستخدم لإقامة الطلبة الغرباء. (ولتسينجر وواتسينجر، 1984م، ص 215-217). ولقد أعدت لسكن نزلاء هذه التكية. ويتقدم هذه الغرف رواق على قناطر. وفي الجهة الشمالية كتلة معمارية تتكون من مطبخ ومستودعات في الوسط وقاعتين كبيرتين للطعام. (الريحاوي، 1996م، ص 496-497)

تصميم المئذنة:

لقد أقيمت المآذن على المحور الشرقي - الغربي للجامع. ومع هذا الصدد يذكر عبد الباسط العلمي ما يأتي: "ومئذنتين شرقية وغربية كأنهما ميلان يؤذن عليهما": (ولتسينجر وواتسينجر، 1984م، ص 217). ونلاحظ تأثير أميال إسطنبول على شكل المآذن في التكية السليمانية المشيدة في مدينة دمشق. الشكل رقم (22).



الشكل رقم: (22): مسقط ومنظور للمأذنة.

المصدر: الباحثة بالاعتماد على الرفع المعماري لمديرية آثار مدينة دمشق.

الرواق:

يتقدم الحرم رواق رحب وظليل. إن هذا الشكل من الأروقة لم تعرفه إلا العمارة التركية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي، فهو رواق مزدوج يعتمد على صفين من الأعمدة: (ولتسينجر وواتسينجر، 1984م، ص 219).
وصف كتلة البناء:

وتتضح لنا البساطة في التكية السليمانية وهذا الأمر ذاته في جميع المباني التي تركها المهندس الشهير سنان مع جماليات وطرز متميزة، وكما أننا نلاحظ وجود عدد كبير من القباب على غرفها مع عشرات المنارات الصغيرة التي تشبه أقلام الرصاص فوق الغرف.



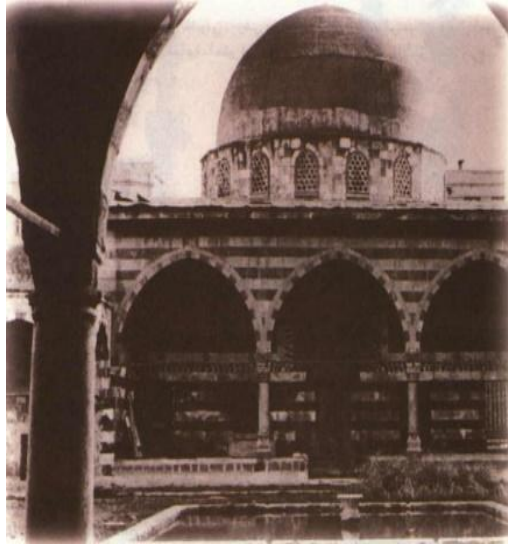
الشكل رقم: (23): التكية السليمانية.

المصدر: بعدسة الباحثة، 2010 م

ونجد بأنه ثمة تباين صارخ بين كتلة الجامع ومثذنتيه الشكل رقم (23) في هذه التكية، فالمنظور الأفقي الذي يهيمن على هذا البناء وتنتصب القبة الرئيسية فوق رقبة مائلة الجوانب. تتجلى المدرسة المعمارية العثمانية، في استخدام الدعامات الساندة: (Strebepeifer) في الخارج، وفي طريقة تزجيج النوافذ وفي التغطية بالرصاص. وتستكين قباب الرواق الأمامي في المنظور الأفقي دون أن تتعالى فوق أية رقبة على بقية قباب التكية السليمانية التي ترتب بدورها بخفة عند حافة الميزاب وتنسجم بالتالي مع الخطوط الأفقية العامة (ولتسينجر وواتسينجر، 1984م، ص222).

المدرسة السليمانية:

تقع إلى الشرق من التكية السليمانية (الشكل رقم24). وتضم مسجداً للصلاة، وبيوتاً للعلم، لتؤدي دور المسجد التعليمي وقف بنائها، وأمامها أروقة يرتادها الدراويش و14أبناء السبيل، وتمتد أمامها بحرة للوضوء وقضاء الحاجات الضرورية. إنها مدرسة مستقلة عن التكية ذات مخطط شبيه بمخطط التكية ومنسجم معها في الخطوط العامة . ويمتد سوق أمام المدرسة على صفيين متقابلين من الدكاكين ينتهي في الجهة الغربية بباب كبير يصله بالتكية، كما ينتهي من الجهة الشرقية بباب كبير آخر يصله بالمدينة. (الريحاوي، 2005م، ص 69)



الشكل رقم: (24): المدرسة السليمانية.

المصدر: القوتلي ، 2008م، ص 69.

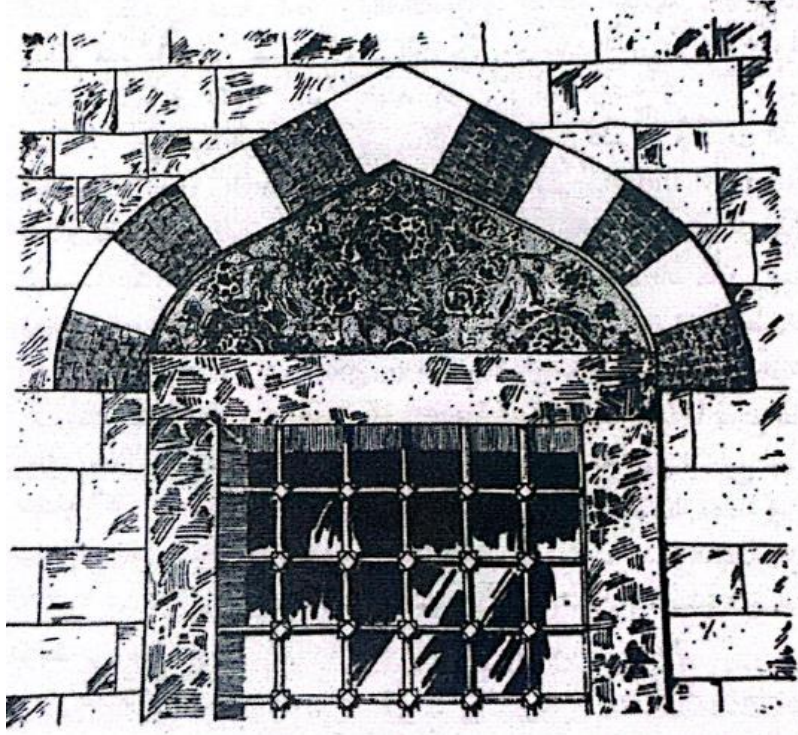
وتظهر التأثيرات العثمانية في التكية السليمانية أيضاً في شكل المثذنة، وفي شكل القباب، وفي معظم العقود التي جعلت من النوع الفارسي: (أي المرسوم من أربعة مراكز والقسم العلوي مقوس نحو الخارج) كما في قناطر الأروقة وفي العقود التي تعلو الشبابيك: (العقد العاتق). وكذلك في المداخل الحجرية التي تبرز بين قباب الغرف المزودة جميعها بالمداخل (ولتسينجر وواتسينجر، 1984م، ص222-223).

الزخرفة في التكية السليمانية:

من حيث عناصر الزخرفة العثمانية: نجد بأن تسعة أعشارها يتمتع بطابع عثماني صرف، فالجذع المضلع للمثذنتين يبدو وكأنه محزز بأقنية تزينية . كما تسموكل مثذنة في العلوهي تتباهى بقدها النحيل . كذلك لا تجد أطواق المقرنصات وشرفة المؤذن من تعطشها للاندفاع الشاقولي . يطوق المنطقة المحصورة بين شرفة المؤذن والقلنسوة الرصاصية المدببة شريط من ألواح القيشاني التي تبدو وكأنها نقط زرقاء منعزلة في الأعلى: (ولتسينجر وواتسينجر، 1984م، ص222).

يسهم الغنى اللوني في تخفيف قساوة المظهر العام وإضفاء الحيوية على البناء ، وقد بذلت عناية بالناحية اللونية أكثر مما يتطلبه التعبير الفني العثماني ، وإن دل هذا على شيء إنما يدل على أن العثمانيين قدموا تنازلاً لأهالي دمشق الذين اعتادوا على التزيين اللوني الذن تأثروا به من مصر أيام المماليك الشراكسة ، حيث أن التناوب اللوني في مداميك واجهة الجامع (باستثناء حجارة العقود) يمتد على طول الجدران على شكل أشرطة أفقية من الحجارة البازلتية ذات اللون الرمادي الضارب للأزرق والأحجار الكلسية البيضاء ، تتناوب في مداميك الجدار الخلفي للرواق الخلفي الذي يتقدم المطبخ ألوان من ثلاث درجات . (ولتسينجر وواتسينجر، 1984م، ص 223-224).

تساهم حشوات القيشاني في الأقواس التي تعلو الشبابيك والأبواب في تصعيد الحيوية اللونية للبناء ، كما في الشكل (25) . وتتفق زخارف القيشاني هذه مع الزخارف الفارسية – العثمانية السائدة في القرن السادس عشر . وبالرغم من أن القيشاني من النوع التركي المعروف باسم (شبيه الخزف) لأن الزخارف فيه منقذة فوق طبقة بيضاء وتحت طلاء زجاجي شفاف ، إلا أنه من المرجح أن يكون من صنع دمشقي وذلك لاختفاء اللون الأحمر الحديدي واقتصار الخلفية على اللون الأزرق الكوبالتي واستخدام درجتين من درجات اللون الأخضر وهما اللون أخضر البحري البارد والأخضر الدافئ الضارب إلى الصفرة إضافة إلى اللون البنفسجي الضارب للبي الذي يستخدم لرسم الحدود الخارجية ، وكما أنه تجدر الإشارة إلى أن استخدام الزخارف النافرة كان قليلاً جداً في التكية ، فأطر النوافذ والأبواب في الغرف والقاعات بقيت بدون قولبة ، في حين أن القولية موجودة في أطر محاريب واجهة الحرم ومحراب الجامع في الداخل . وأما المقرنصات ، فالتكوين فيها فقد الكثير من طابعه الإنشائي وأصبح إيقاعاً متبادلاً بين رؤوس بارزة وفرغات مجوفة تنافس مع دلايات نازلة ، وتساهم درجات المحاريب في إبراز المناطق نفسها. (ولتسينجروواتسينجر ، 1984م ، ص224).



الشكل رقم: (25): واجهة وتفاصيل هندسية في مدرسة السليمانية.
المصدر: (ولتسينجروواتسينجر ، 1984م ، ص 221).

الخاتمة:

لقد تطورت مدينة دمشق في العصر العثماني على الصعيدين العمراني والمعماري، ولقد كان محور الحج الشامي أثر كبير في هذا التطور:

- بقي طريق الحج كما هو من أيام الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وإن كانت قد اختلفت منازلها، تعود الأصول التاريخية لهذا الطريق إلى الفترة ما قبل الإسلام، ولقد أطلق على هذا الطريق اسم طريق الحج في أيام الأمويين، وتطور هذا الطريق وكان له أثر كبير في تطور مدينة دمشق عمرانياً من حيث التوسع المورفولوجي للمدينة باتجاه الجنوب.
- حيث تقف المباني والمنشآت التي أنشئت لخدمة الحجاج البن يسلكون هذا الطريق باتجاه المشاعر المقدسة في أراضي الحجاز شاهداً على التطور المعماري لمدينة دمشق وإراثاً تاريخياً للأجيال القادمة تؤكد أهمية هذا الطريق وما كان له من أثر في تطور المدينة عمرانياً ومعماريًا.

النتائج والتوصيات:

1. لقيت مدينة دمشق اهتماماً خاصاً في العصر العثماني، وذلك بسبب موقعها الجغرافي المميز، ولوقوعها على طرق الحج الشامي، ولكونها نقطة استقبال حجاج الشمال.

2. توسعت مدينة دمشق، وقد اتخذت هذه التوسعات محور شمال-جنوب وكان لطريق الحج الشامي أثر بارز في هذا التوسع.
3. انعكس اهتمام العثمانيين بمدينة دمشق على البنية العمرانية والمعمارية فيها، حيث ظهرت منشآت معمارية إسلامية جديدة في هذا ببتيجة طريق الحج.
4. ارتبط العديد من هذه المنشآت التي قامت في العصر العثماني بطريق الحج، وقام بعضها على خدمة الحجاج الذين يسلكون هذا الطريق وللذين يقطنون في مدينة دمشق في فترة الاستعداد للانطلاق لأراضي الحجاز لأداء الركن الخامس من الإسلام .
5. جاء التصميم المعماري للتكية السليمانية بما يؤمن راحة الحجاج أثناء فترة إقامتهم في مدينة دمشق للاستعداد للرحلة المقدسة باتجاه أراضي الحجاز.
6. نوصي بالاهتمام بإظهار دور طريق الحج الشامي بالنسبة لمدينة دمشق، وبالنسبة لمبانيها التاريخية الإسلامية، وذلك نظراً لما له من أهمية في الحفاظ على تاريخنا المعماري والإسلامي، ولما له من دور مهم في كيفية التعامل مع هذه المباني التاريخية والحفاظ عليها، وصولاً لإعادة إحياء هذا الطريق التاريخي ذا القيم المهمة المتعددة.
7. إن الاهتمام بمدينة دمشق وبمبانيها التاريخية بشكل عام، وبمحور الحج الشامس وبأثره على مدينة دمشق يعد خطوة في طريق تسجيل هذا الطريق ومبانيه الخدمية على لائحة التراث العالمي.

المراجع

المراجع الأولية:

- الحلاق، أحمد البديري. 1959 م. دمشق حوادث دمشق اليومية، الطبعة الأولى، دار سعد الدين - دمشق .
- الريحاي، عبد القادر. 1990 م. العمارة في الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، مركز النشر العلمي في جامعة الملك عبد العزيز - جدة.
- الريحاي، عبد القادر. 1996 م. دمشق تراثها ومعالمها التاريخية، الطبعة الثانية، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع - سوريا.
- الريحاي، عبد القادر. 2005 م. روائع التراث في دمشق، الطبعة الأولى، التكوين للطباعة والنشر - دمشق.
- القوتلي، محمد نبيل. 2008 م. ذاكرة دمشق، الطبعة الأولى، دار البشائر - دمشق.
- الكلابي، حياة. 1430هـ/2009م. النقوش الإسلامية على طريق الحج الشامي بشمال غرب المملكة العربية السعودية، الرياض- للملكة العربية السعودية).
- ايش، أحمد. 2002 م. دفاتر شامية عتيقة، الطبعة الأولى، دار قتيبة - دمشق.
- دراركة، صالح. 1997م. طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية، المطابع العسكرية، عمان-الأردن.
- ريمون، أندريه. ترجمة طوير، قاسم. 1986 م. العواصم العربية عمارتها وعمرانها في الفترة العثمانية، الطبعة الأولى، دار المجد - دمشق.
- سوفاجيه، جان. ترجمة البستاني، فؤاد. 1989م. دمشق الشام لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى عهد الانتداب، دار الشروق - بيروت.
- كيال، منير. 2006 م. محمل الحج الشامي، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الثقافة - دمشق.
- ولتسينجر، كارل و واتسنجر، كارل. ترجمة طوير، قاسم. 1984 م. الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، الطبعة الأولى، مطبعة سوريا - دمشق.

المراجع الثانوية:

- صواش، نوزاد. 2005. المحمل الشريف... أشواق إلى ديار الحبيب. مجلة حراء، ، إصدار Isik Ozel Egitim Tic. Ltd. Sti ، العدد الأول، ص 26 - 29.

المراجع الأجنبية:

- Necipoglu, Gulru. 2005. The Age of SINAN Architectural Culture in the Ottoman Empire, Reakction Books Ltd - Hong Kong.

المراجع الأخرى

- أطلس مدينة دمشق. 2009. من إصدارات برنامج تحديث الإدارة المحلية مشروع (MAM) بالتعاون مع مديرية مدينة دمشق القديمة.